النحت كمصدر أصيل لإلهام المصورين ورسامى الكاريكاتير من خلال تجربة "هونوريه دومييه"

Sculptures as an Authentic Source of Inspiration for Painters and Caricaturists through the Experience of "Honore Daumier"

إعداد

أ.د / محمد عبد السلام عبد الصادق هلال

Prof. Mohamed Abdel Salam Abdel Sadek Hello

أستاذ تاريخ الفنون والتصوير- كلية الفنون الجميلة- جامعة الإسكندرية

Doi: 10.21608/kjao.2025.416061

استلام البحث ٢٠٢٥/١/٣

قبول البحث ٢٠٢٥/١/٢٢

هلال، محمد عبد السلام عبد الصادق (٢٠٢٥). النحت كمصدر أصيل لإلهام المصورين ورسامى الكاريكاتير من خلال تجربة "هونوريه دومييه"، ***المجلة العربية لعلوم السياحة والضيافة والآثار***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٦(١٠)، ١٥١- ١٧٠.

http://kjao.journals.ekb.eg

النحت كمصدر أصيل لإلهام المصورين ورسامى الكاريكاتير من خلال تجربة "هونوريه دومييه"

المستخلص:

يعد الفرنسى "هونوريه-فيكتورين دومييه" "Honore-Victorin Daumier" (١٨٠٨- ١٨٧٩م) حالة متفردة فى تاريخ الفنون خلال القرن التاسع عشر. على الرغم من غزارة إنتاجه الفنى، وعلى الرغم من تنوع التقنيات والأساليب والخامات التى صاغ من خلالها أعماله، وبالرغم من عمله الصحفى لفترة غير قصيرة من حياته مما كان كفيلا بتحقيق الانتشار المطلوب لأى فنان، إلا أن كل ذلك لم يشفع له ليكون فى مصاف الفنانين الحقيقيين، فظل أغلبهم يعتبره مجرد "رسام"، يعمل تبعا لاحتياجات التسويق، واحتياج المجال الصحفى الذى يفرض على الرسام نمطا معينا من الأداء وأحيانا- الموضوعات. كما كان أسلوبه فى استخدام الخط المحدد للعناصر، وتلخيص مساحات النور والظل، والمبالغة فى نسب العناصر لعناصر يثير حفيظة الأكاديميين، يدفعهم لاتخاذ موقف عدائى أو سلبى تجاهه. البحث التالى يشرح قيمة "دومييه" من حيث كونه مارس فن النحت لفترة غير قصيرة من حياته. معتمدا على أدائه التعبيرى والعفوى. كما يوضح البحث قيمة ما تركه الفنان من منحوتات كانت هى الملهم الأساسى للوحاته فى مجال الرسم والتصوير. مثبتا بذلك أن المبدع قادرا على خلق مصادره بذاته. وأن مجالات الإبداع التشكيلى المتنوعة يمكن أن تخدم بعضها بعضا متى تمكن الفنان من أدواته وتقنياته.

مصطلحات البحث : دومييه Daumier- تراكوتا Terracotta- الكاريكاتير Caricature- ليثوجراف Lithograph.

Abstract:

The French artist Honore Daumier (1808-1879) is considered a unique case in the history of art during the nineteenth century. Despite the abundance of his artistic production, and despite the diversity of techniques, methods, and materials through which he created his works, and despite his journalistic work for a significant period of his life, which was sufficient to achieve the desired spread for any artist, all of this did not suffice to consider him as true artist. Most of critics considered him as a mere “painter,” working according to marketing and journalistic field needs, that impose on the painter a certain style of performance and - sometimes - topics. His style, which relied on using the specific outline of the elements,

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

summarizing the areas of light and shadow, and sometimes exaggeration in the proportions of elements arouses the ire of academics, prompting them to take a hostile or negative stance towards it. The following research explains the value of Daumier in that he practiced the art of sculpture for a significant period of his life. During this time, he relied on his expressive performance, summation, and spontaneity. The research also demonstrates the value of the sculptures created by the him, which were the primary inspiration for his paintings and drawings. This proves that the creator is able to create his own resources. The various fields of plastic creativity can serve each other when the artist masters his tools and techniques.

أهمية البحث :

لوحظ على مدار سنوات من خلال القيام بالتدريس فى كليات الفنون الجميلة ونظيراتها قلة عدد الطلاب المقبلين على الدراسة فى قسم النحت، الأمر الذى أنذر فى سنوات سابقة بإغلاق القسم فى بعض الكليات.

وعلى الرغم من تنظيم وإقامة العديد من الندوات والمحاضرات التعريفية بأهمية التخصص وقيمته للطلاب والدارسين فلازالت الكليات تشهد الظاهرة بشكل متكرر، وهنا تبرز أهمية البحث فى إيجاد علاقة بين الفنون التشكيلية، مع التركيز على إيضاح القيمة الحقيقية لفن النحت كمصدر إلهام لفن التصوير، وغيره من الفنون البصرية، إذ يلعب دورا هاما فى خلق النموذج المطلوب بالنسبة للرسام أو المصور، ومن خلال إلقاء الضوء على تجربة الفنان "هونوريه دومييه" كنموذج مثالى للفنان متعدد الاتجاهات والمجالات يمكن الوقوف على أهمية أن يكون الفنان التشكيلى ملمّا بعدة فنون، بحيث لا يقف أمامه عائق توفّر النموذج المطلوب تجسيده أو الذى يمكن من خلاله أن يعبر عن الفكرة المنشودة لديه، مع التأكيد على إبراز أهمية فن النحت للدارسين والمتخصصين فى أيٍ من مجالات الفنون البصرية.

مشكلة البحث :

تتحدد أهمية البحث فى توضيح القيمة التى تتحقق من خلال سعة أفق الفنان التشكيلى وقدرته على ممارسة مجالات فنية عدة، وخلق بغيته من النماذج والأشكال والعناصر التى تصبح مصدر إلهام متجدد ومميز له، مما سيكون له الأثر على تحفيز الفنانين على الانفتاح على الفنون البصرية المتنوعة وإيجاد حوار مشترك بينها يخدم العملية الإبداعية برمّتها، لا سيما فيما يتعلق بمجال تشكيل المجسمات وفنون النحت المختلفة.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

تساؤلات البحث :

أولا : ما هى القيمة الحقيقية لتجربة "دومييه" فى الجمع بين فنون متعددة؟

ثانيا : كيف انتقل الأداء العفوى للفنان "دومييه" بشكل عام بين أعماله فى المجالات الفنية المختلفة؟

ثالثا : ما الدور الذى لعبه فن النحت فى تجربة الفنان "دومييه" فى مجال الرسم والتصوير؟

رابعا : لماذا تتسم تجربة الفنان "دومييه" بالأصالة لا سيما فى مجالى الرسم والتصوير؟

منهج البحث : المنهج التاريخى التحليلى.

حدود البحث : حدود مكانية : فرنسا حيث ولد وعاش الفنان "دومييه" محور البحث.

حدود زمانية : القرن التاسع عشر.

مقدمة

فى ديسمبر ٢٠١٣م فى معرض "رؤى باريس" " The Visions of Paris" والذى أقيم فى الأكاديمية الملكية، عبر عن ذلك الكاتب والناقد "أندرو لامبيرث" "Andrew Lambirth" عن نفس المضمون، وأضاف :

"منذ أكثر من نصف قرن لم تشهد البلاد تنظيم المعرض الذى يليق بهذا الفنان، لذا كان أقصى طموح يمكن أن يراود محبى فن دومييه هو أن تنشر أعماله ضمن الكتب، لا سيما و أن فضل دومييه فى مجال الطباعة و النشر لا يمكن إغفاله، وهو الذى أثرى عدد غير قليل من المجلات والصحف الفرنسية بأعماله الرائعة والتى أتاح تنفيذها بتقنية الطباعة بالليثوجراف الاحتفاظ بعشرات النسخ منها، وذلك فى الوقت الذى يجمع النقاد والمؤرخون أن عظمة دومييه الفنية لا تقف عند كونه مجرد رسام كاريكاتير بل لكونه أيضا كان نحاتا متميزا ومصورا له أسلوب متفرد، ولعل هذا ما دفع المتخصصين للتساؤل: كيف أمكن للأكاديمية تبرئة نفسها من تجاهل فنان بحجم وقيمة دومييه..؟!"(Lambirth, 2013, p5)

كان المؤرخ "سيكرت" "Sickert" يعتبر "دومييه" واحدا من أعظم الفنانين فى التاريخ على الإطلاق، واصفا أعماله بأنها "رسوم فى طلاء الزيت البنى" Drawings in brown oil-paint على حد تعبيره، كما كان الكاتب "جون بيرجر" "John Berger" يقول أن أهم ما يميز إبداع "دومييه" عن معاصريه من الفنانين كـ"إيوجين ديلاكروا" "Eugine Delacroix" (١٧٩٨- ١٨٦٣م) و"كاميل كورو" "Camille Corot" (١٧٩٦- ١٨٧٥م) و"تشارلز فرانسوا دوبينى" "Charles-François Daubigny" (١٨١٧- ١٨٧٨م) هو عفويتها الفريدة ، ربما يتفق هذا الرأى و ما قاله المؤرخ "دافيد سيلفستر" "David Sylvester" عن أن "دومييه" تعوّد أن "ينقل كيف تبدو المشاعر- لا الشخوص- عند القيام بالفعل أو وقوع

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

الحدث ، وهى الملاحظة التى تؤكد أن "دومييه" كان يتعامل دائما بقلب نحات حتى وهو يرسم أو يصور ، الأمر الذى يدعو للمزيد من الاستياء كون قاعات العرض لا تحوى إلا القليل جدا من التماثيل التى أبدعها هذا الفنان العظيم".(Lambirth, 2013, p7)

يقف هذا البحث على نقطة هامة فى فن "دومييه" ، وهى نقطة تميزه عن أى فنان آخر فى عصره، تتعلق بفكرة أصالة المصدر الذى يتعامل معه ، أو ينقل عنه رسومه بمختلف تقنياتها ، وحتى أعماله التصويرية التى بدأ مشواره معها فى الأربعينيات من عمره ظلت تعتمد على تلك المصادر الأصيلة التى أبدعها بنفسه ، وهى تلك التماثيل النحتية التى نجح من خلالها فى نقل رؤيته للحياة الباريسية فى الطرقات ، وأضفى عليها من رؤيته روحا تجاوزت بها القيمة الشكلية إلى بعد أكثر عمقا يتسم بالعفوية والنقد و اللمحة الساخرة التى كانت سببا وراء جلب المتاعب له وتعرضه للسجن أكثر من مرة وإغلاق الصحف والمجلات التى يعمل بها.

فى عام ١٩٤٩م عرضت قاعة "وولترز" Walters للفنون على عدد من الطلاب تمثالا من الطين المحروق "Terracotta" لـ"دومييه" ، يجسد من خلاله امرأة تحمل أغراضا وتستحث الخطا وكأنها تواجه عاصفة أو رياحا تعوق حركتها ، بينما هناك طفل يتحرك بجوارها ، كأنه- من خلال وضعه بالنسبة لجسد المرأة- يحتمى بتنورتها فى مواجهة الرياح. (شكل ١) و (شكل ٢)

(شكل ١) و (شكل ٢) زاويتان أمامية وخلفية لتمثال Le Fardeau للفنان هونوريه دومييه- منفذ بخامة الطين المحروق Terracotta

يبدو "دومييه" فى هذا العمل وكأنما كانت أصابعه تتلاعب بخامة الطين على نحو سريع سواءا، فى تعبيره عن الكتلة الرئيسية، أو فى نقله للتفاصيل، وإعطاء

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

المشاهد الإحساس المطلوب بالحركة ، و قد تعمد دومييه ترك سطح التمثال دون أن صقل أو دون إضافة أية للمواد ملمّعة، وبالرغم من ذلك تجنب وجود أية حواف أو مدببة قد تكون عرضة للكسر أو التشوه ، وقد وقّع دومييه بالحروف الأولى من اسمه h.D على خلفية قاعدة التمثال قبل مرحلة الحرق. (شكل ٣)

(شكل ٣) قاعدة التمثال من زاوية خلفية و يظهر عليها توقيع الفنان "دومييه" بالأحرف الأولى من اسمه h.D

بعدها بحوالى عام عرض "دومييه" لوحة لنفس الموضوع فى معرض "Tate" تحت عنوان "Le Fardeau" (بمعنى "العبء") وفيها يصور امرأة على نفس الهيئة المجسدة فى التمثال تتحرك فوق رصيف بمحاذاة سور يطل على نهر "السين" ، بينما تبدو على الضفة الأخرى من النهر مجموعة من الأبنية غير مؤكدة التفاصيل ، يبدو جسد المرأة مندفعا للأمام ، تتدلى إلى جانب فخذها كومة من الملابس يوحى وضع المرأة بمدى ثقلها ، فى حين يبدو الطفل و كأنه يحاول الإمساك بيدها محاولا مجاراة خطوتها التى تبدو متعجلة رغم ما تنوء بحمله.(شكل ٤).

كانت معرفة "دومييه" بفكرة اللدائن النحتية وتشكيلها وسيلته لإيجاد النماذج المناسبة ليرسمها أو ليصورها فيما بعد ، لذا.. فإن لنا أن نفترض أن العمل المرسوم قد تم تنفيذه عقب إنجاز العمل النحتى مباشرة أو- على الأقل- بعدها بفترة قصيرة نسبيا ، فى هذا السياق يشير بعض المؤرخين إلى قيمة التلاعب بمساحات النور والظل فى لوحات "دومييه" نتيجة لتأثره الشديد أساسا بنماذجه النحتية.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

(شكل ٤) لوحة Le Fardeau- زيت على خشب محضر- ١٨٥٥م

"مارفان روس" "Marvin Ross"- المسؤول عن الفنون الزخرفية للعصور الوسطى فى معرض "وولترز للفنون"- تلقى من "جان أديمار" "Jean Adhemar" التى تعمل فى المكتبة الوطنية إشارة إلى مذكرة كتبها الشاعر الفرنسى "بودلير" "Baudelaire" مؤرخة بتاريخ ١٤ يناير من عام ١٨٥٢م إلى صديقته "بوليه مالاسيس" "Poulet Malassis" جاء فيها : "يقودنى بودلير للركض مع دومييه نحو مقاطعة أنجو ، تماما كما يفعل التمثال ، أرى كتل الشمع تعربد على جدران ورشة العمل ، وامرأة تسحبها رياح قوية على طول رصيف ، تغلفها مشاعر الحزن ، بينما تحمل تحت ذراعها كومة ملابس كبيرة فى طريقها إلى جبل الرحمة". See: (Marceau & David, 1948, p77)

تشير هذه المذكرات إلى أن التمثال كان موجودا بالفعل قبل عام ١٨٥٢م، وأن اللوحة التى عرضت فى معرض "تيت" للفنون كذلك تنتمى للمراحل المبكرة من حياة "دومييه" الفنية ، من الممكن أيضا اعتبار هذا العمل واحدا من سلسلة أعمال كانت كلها تتناول مشاهد من الحياة اليومية على ضفاف نهر "السين" مثل لوحة " Le Premier Bain" (بمعنى الحمّام الممتاز) (شكل ٥) ، و لوحة " La Blanchiseuse"، و لوحة "Baigneuses " (بمعنى السابحون) (شكل ٦).

(شكل ٥) Le Premier Bain- زيت على قماش محضر (شكل ٦) Baigneuses- حفر ليثوجراف

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

هناك رأى للكاتب "تشارلز سيمور" "Charles Seymour" مفاده "أن الرسم قد يكون من إنتاج أحد زملاء "دومييه" الذين عملوا فى وضع الرسوم التوضيحية داخل الكتب ، لا سيما وأن هناك عدة نسخ لنفس الموضوع تبدو الاختلافات بينها طفيفة لا تكاد تذكر" (see : Kris, 1938, p41) و (شكل ٧) و (شكل ٨) ، كن مهما يكن الأمر فلا شك فى النسخة النحتية تظل هى الأعلى قيمة ، ولا خلاف على كونها تنتمى- بلا شك- لإبداع "دومييه" نفسه ، كما أن التمثال يمثل أقوى دليل على أصالة التجربة الإبداعية لدى "دومييه" ، لا سيما و أن يديه- كما يبدو من العمل- كانتا هما أدواته الأساسية للتنفيذ حيث أنه ترك بصمات أصابعه على كل جزء من أجزاء التمثال ، حتى فى تجسيده للعين اكتفى بغرس إصبعه بعمق فى موضع تجويف العين ولم يهتم بوضع تفاصيل الحدقات أو غيرها ، وكونه بدأ مشواره الفنى بالنحت وانتهى بالرسم والتصوير فإنما يدل على تعدد المهارات الإبداعية لديه خلافا لفنانين آخرين انحسرت إبداعاتهم الفنية فى تقنية دون غيرها.

(شكل ٧) و (شكل ٨) معالجتان مختلفتان للوحة Le Fardeau

يبدو من خلال الخط المزدوج فى نهاية الرقبة ومجموعة الخطوط المتتابعة فى منطقة الثديين أن دومييه كان يضع أكثر من تصور أو تفكير اثناء تنفيذه للعمل، وهو نفس الأسلوب الذى يتبعه فى رسومه، وفى سبيل استيعاب هذه السمات يمكن المقارنة بين تفاصيل التمثال المذكور وبين تفاصيل لوحة "دومييه" المنفذة بالألوان الزيتية والمعنونة باسم "عربة الدرجة الثالثة" والمعروضة فى معرض "وولترز" للفنون، (شكل ٩).

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

(شكل ٩) عربة الدرجة الثالثة- زيت على قماش محضر- ١٨٦٣م

بالنسبة لـ"دومييه" فإن مجالات النحت والتصوير والرسم اندمجت جميعا فى تجربة واحدة مثيرة تتسم بالديناميكية، حيث لا يمكن فصل أي منها عن الآخر بالمنطق العقلى المألوف، أو المتعارف عليه ، سواءا تعلق الأمر بالنحت أو بالرسم والتصوير فإن المتلقى ليشعر أن الفنان لم يكن لديه أبدا رغبة قوية لإنهاء أى عمل بالشكل الحرفى لإنهاء العمل إذا ما قورن ذلك برغبته المستمرة لخلق إحساس بالحركة سواءا من خلال عدم وضع خطة كاملة مسبقة للعمل، أو من خلال حركة أصابعه المتسارعة على سطح العمل الفنى، والتى تحيل العناصر إلى مساحات مختصرة من النور والظل دون الاستغراق فى تفاصيل زائدة ، من هذا المنطلق تتجسد حالة الاندفاع التى تبدو فى تمثال "Le Fardeau" مع مراعاة الحفاظ على اتزان الكتلة.

أشار "دافيد سيلفستر" "David Silvestre" إلى نفس المعنى حين قال "أن دومييه كان من أكثر الفنانين الذين كسروا الحاجز الفاصل بين الدراسة الأولية للعمل الفنى Sketch والعمل الفنى نفسه فى صورته النهائية"، مقارنا بينه وبين الفنان الإنجليزى "ويليام تيرنر" "William Turner" (١٧٧٥- ١٨٥١م)، "لذا فإن العديد من لوحات دومييه تبدو وكأنها أعمال غير منتهية". (Lambirth, 2013, p8) (شكل ١٠) و(شكل ١١).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

(شكل ١٠) و (شكل ١١) لوحة Intermission at the Comedie Francaise (بمعنى فاصل أو استراحة فى مسرحى " Le Comedy Francaise") : الدراسة الأولية والعمل النهائى ، يلاحظ اقتراب الأداء والتفاصيل والمعالجات التشكيلية والأدوات المستخدمة (أحبار وفحم وألوان مائية) فى كلا العملين- ١٨٥٨م.

تمثال "Le Fardeau" هو واحد من مجموعة قليلة من التماثيل المنفذة بخامة الطين المحروق لـ"دومييه"، والتى بقيت بحالة جيدة كما تركها الفنان، بعد وفاته عُثر فى مرسمه على حوالى ستة وثلاثين تمثالا كلها تصور شخصيات، سياسية بشكل كاريكاتورى ساخر ، و كلها لم تتعرض للحرق ، (لم يعرض منها فى المعارض الرسمية سوى ستة أعمال فقط) (شكل ١٢). كان لابد من إصلاح ما أصاب هذه الأعمال من تلفيات ، و بالرغم من أن هذه التماثيل قد تم عمل قوالب لها وصبها بخامة البرونز بعد وفاته (C. Childs, 2014, p12) ، وتعد النسخ الأشهر لهذه التماثيل هى الموجودة حاليا بالمتحف القومى بمدينة واشنطن بالولايات المتحدة (شكل ١٣)، وبالرغم من أهميتها الفنية إلا أنها لا ترقى- بأى حال من الأحوال- للقطع الأصلية التى أبدعها "دومييه".

(شكل ١٢) نسخ ملونة لنماذج منقولة عن الوجوه التي أبدعها هونوريه دومييه

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

(شكل ١٣) نسخ برونزية لمجموعة الصور الشخصية التى أنجزها "دومييه" بخامة الطين المحروق، وهى محفوظة حاليا بالمتحف القومى National Gallery- واشنطن- الولايات المتحدة الأمريكية

على سبيل المثال إذا تأملنا النسخة البرونزية لتمثال "نابليون الثالث" (معروف باسم Ratapoil) والتى قام بنسخها الفنان "سيكوت ديكوفيل" " Sicot Decauville" عام ١٨٩٠م ، (شكل ١٤) و(شكل ١٥) وأعيد نسخها من جديد فى ١٩٢٥م ، و قارنّا بينها وبين تمثال "Le Fardeau" فى قاعة "وولترز" للفنون لأمكننا الوقوف على الفارق بين قيمة التمثالين، خاصة وأن فكرة تمهيد السطح فى تمثال "نابليون الثالث" أفقده السمة المميزة لشخصية "دومييه" الفنية ، ذلك الفنان الذى تميز بترك بصمته على أعماله الأصلية بشكل ملحوظ. (see: James, 2004, p36)، (شكل ١٦).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

(شكل ١٤) دراسة أولية بالقلم الرصاص (شكل ١٥) نسخة برونزية لتمثال "دومييه" Ratapoil للفنان لتمثال Ratapoil للفنان "دومييه" "سيكوت ديكوفيل"- ١٨٩٠م

كان "دومييه" يرسم غالبا اعتمادا على ما يختزنه فى الذاكرة، وقليلا ما كان يجهد عقله بالبحث عن سياق محدد أو مميز لوضع عناصره، وإذا تأملت أعماله ستجده الفنان الأكثر قلقا حيال العنصر البشرى بشكل خاص، متجاوزا ما يحيط به من باقى العناصر المحيطة من بيوت أو أشجار أو غيرها، يختزل عناصر فى مساحات عريضة من النور والظل، كأنه كان يتعامل مع اللوحة بعقل وقلب النحات.

(شكل ١٦) Ratapoil- تفصيلية تبين مدى ما تعرضت له النسخة البرونزية من طمس لآثار أصابع "دومييه" على الكتلة النحتية

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

أمر آخر يشير إلى انتماء "دومييه" فى أعماقه إلى فكر وإحساس النحات حتى فى ذروة تعامله مع العمل الفنى ذى البعدين وهو تنفيذه بعض اللوحات على أسطح خشنة غير تقليدية، وذلك على نحو ما يبدو فى نسختى لوحة "Man on a Rope ""رجل على حبل" (شكل ١٧) و(شكل ١٨)، كذلك فحين نتأمل سلسلة أعماله لشخصية "دون كيشوت" سيكون من اللافت للنظر ملاحظة القيمة البنائية التى يتعامل معها "دومييه"، علاوة على ضربات الفرشاة القوية الخشنة التى يهمل معها التفاصيل لحساب الكتل الأساسية فى المساحة. (see: Melot, 1988, p44) (شكل ١٩).

(شكل ١٧) و(شكل ١٨) نسختان من لوحة Man on a Rope- ألوان زيتية على أسطح خشبية محضرة- ١٨٥٨م- محفوظتان حاليا بمتحف بوسطن

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

(شكل ١٩) لوحة من سلسلة لوحات "دون كيشوت" لـ"دومييه"- النموذج المعروض منفذ بألوان زيتية على قماش محضر

هناك عمل آخر منفذ بتقنية النحت البارز معروف باسم "Fugitives" أو "Emigrants" (بمعنى "الهاربون" أو "المغتربون") و الذى تم صبه بخامة الجبس نقلا عن نسخة أصلية من الطين غير المحروق قبل أن يتم صبه بخامة البرونز (شكل ٢٠) ، و هو تكرار لتجربته الرائعة مع تمثال Le Fardeau ، إذ أنجز دومييه من خلال العمل النحتى رسما متميزا يجسد نفس الموضوع باستخدام نفس العناصر والمفردات التشكيلية ، فنجده يتغاضى عن التفاصيل ، ويركز- عوضا عن ذلك- على فكرة الإيقاع وتدفق الحركة و إعطاء شعور بصلابة الأجسام المصورة حتى لتبدو وكأنها كتل نحتية. (شكل ٢١)

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

(شكل ٢٠) "The Fugitives" أو "The Emigrants" لـ"دومييه"- نحت بارز- نسخة برونزية عن أصل منفذ بخامة الطين المحروق- ضمن مجموعة "Samuel and Marie Louise Rosenthal" الخاصة

يعتبر بعض المؤرخين أن هذا العمل هو الأكثر تأثيرا من الناحية الدرامية بين أعمال "دومييه"، فهو من خلال مشهد بانورامى يستعرض مجموعة من الأجساد البشرية التى لا تظهر ملامحها ولا سماتها الشخصية ، إنهم فقط مجموعة من المهاجرين أو النازحين الذين لا نَصيب لهم من الأضواء أو الاهتمام، وبالرغم من ذلك فلا يمكن أن نفهم- على وجه التحديد- من كان يقصد "دومييه" بهذا العمل..؟! يشير بعض المؤرخين أن العمل هو تجسيد لأحداث الحرب الفرنسية البروسية[١] ، والأوضاع السياسية المضطربة داخل فرنسا والتى انتهت بما يعرف بتمرد The Paris Commune[٢] فى عام ١٨٧١م، وحصار القوات البروسية القاسى للفرنسيين مدة أربعة أشهر، عانت خلالها "باريس" قسوة الإفساد و التخريب تحت وطأة

[١]- الحرب الفرنسية الألمانية أو الحرب الفرنسية البروسية حرب قصيرة الأمد نشبت بين القوة المسيطرة في أوروبا آنذاك وهي فرنسا وبين القوة الفتية الصاعدة بقوة حينها والمنتشية بهزيمة النمسا في حرب الأسابيع السبعة ,فظهور بروسيا كقوة ألمانية قيادية تسعى لتوحيد الأمصار الألمانية مدعاة تخوف وتوجس للإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث كما كان لرغبة القائد بسمارك رئيس وزراء مملكة بروسيا في توحيد الأمة الألمانية دور كبير في اندلاع هذه الحرب الأوروبية لإدراكه سهولة إمكانية خلق وحدة ألمانية حينما يتعلق الأمر بمجابهة النفوذ الفرنسي.

[٢]- The Paris Commune : هى الحكومة الاشتراكية الثورية التى حكمت باريس بين ١٨ مارس و ٢٨ مايو فى عام ١٨٧١م عقب هزيمة "نابليون الثالث" فى سبتمبر ١٨٧٠م و إعلان انهيار الإمبراطورية الفرنسية الثانية.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الحصار من ناحية، ومن تمرد بعض المتطرفين من أبناء الطبقات العمالية من ناحية أخرى. (see: Goldstein, 1989, p45)

(شكل ٢١) لوحة The Fugitives أو The Emigrants لـ"دومييه"-عمل منفذ بالألوان الزيتيةعلى ورق محضّر- ١٨٦٨م

حقا.. لقد أتاحت تقنية الليثوجراف لأعمال "دومييه" الانتشار الواسع، ولكنها بقدر ما أفادته أضرت به ، فمن ناحية يمكن التعامل مع هذه الأعمال انطلاقا من كونها مواد قابلة للطباعة والنشر، و بالتالى فليس من الضرورى عرضها كلوحات تعلق على جدران القاعات (إلا لو كان الأمر يتعلق بمعرفة الأبعاد الحقيقية لهذه الأعمال)، كما كانت دائما هناك إمكانية لضم هذه الأعمال فى مطبوعة واحدة Catalogue، وبمنتهى السهولة، علاوة على ذلك فإن مثل هذه النسخ المطبوعة تشكل جانبا إبداعيا أكثر تنوعا، ونقاطا فاصلة بين الأشكال التقليدية للأعمال الفنية داخل قاعات المعارض كلوحات التصوير المائى والزيتى والمنحوتات وغيرها ، أما من الناحية الأخرى فقد أدى شيوع هذه النسخ وتداولها وتقليدها إلى التقليل من شأنها عند بعض المؤرخين وجامعى المقتنيات الفنية ، إلى جانب التشكك فى أصالة تلك الأعمال، وكونها من إبداع "دومييه" نفسه أم أنها لآخرين، وهو الأمر الذى لم يكن واردا بالنسبة لتماثيله التى ترك عليها بصمات أصابعه واضحة، وحملت شخصيته الفنية بشكل أكثر عمقا وتأثيرا.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

بقى أن نقول أن "دومييه" كان- ولازال- مثار إعجاب عديد من الفنانين ، مثل الفنان الفرنسى إدجار ديجا Edgar Degas ، و الذى اقتنى لفترة لوحته "دون كيشوت يقرأ" (حاليا محفوظة بالمتحف الوطنى فى مقاطعة "ويلز") (شكل ٢٢)، ومثل المصور "فان جوخ" "Van Gogh" (١٨٥٣- ١٨٩٠م)، والذى كان يقول عن أعماله أنها "تحمل عاطفة تقترب من بياض الحرارة التى تصهر الحديد..!!"، وكان المصور الفرنسى صاحب الأصول الروسية "نيكولاس دو ستيل" " Nicolas de Staël" (١٩١٤- ١٩٥٥م) معجبا به بشكل عميق بينما كان المصور الأسكتلندى "بيتر دويج" "Peter Doig" (مولود فى عام ١٩٥٩م) يساهم بمقالاته فى منشورات المعارض التى تنظم لأعمال "دومييه"، علاوة على افتتان بعض رسامى بريطانيا المعاصرين بفن "دومييه" مثل "وولتر سيكيرت" "Walter Sickert" (١٨٦٠- ١٩٤٢م) والفنانة "باولا ريجو" "Paula Rego" (١٩٣٥- ٢٠٢٢م)، وأفضل رسامى الصور التوضيحية خاصة "إدوارد أرديزون" "Edward Ardizzone" (١٩٠٠- ١٩٧٩م)، وغيرهم. (see: Thomson, 1979, p29).

(شكل ٢٢) لوحة دون كيشوت يقرأ لدومييه- زيت على خشب محضر- نسخة ضمن مجموعة National Gallery of Victoria- أستراليا

خاتمة :

مهما يكن الأمر، وسواءا اتفق النقاد والمؤرخون على أصالة الأعمال الغزيرة للفنان "هونوريه دومييه"، فلا شك أنه استطاع خلال مسيرته أن يكون حالة متفردة

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

بين فنانى القرن التاسع عشر، وواحدا من أعلام الاتجاه الواقعى فى الفنون البصرية، علاوة على أن ما تثيره أعماله من جدل مستمر وتأثيره الممتد لأجيال فنية كفيل بوضعه فى مكانة مميزة، ويجعل من كل عمل فنى أبدعه أو تم نقله أو تقليده حالة فنية متفردة جديرة بالدراسة والتحليل و البحث العميق، وحين نتأمل التمثال الذى أبدعه النحات "أدولف فيكتور جيوفروى ديشوم" "Adolphe-Victor Geoffroy-De Chaume" (١٨١٦- ١٨٩٢م) فى الساحة الرئيسية لقصر "فالموندوا" "Valmondois" شمال فرنسا (شكل ٢٣) سندرك على الفور مدى تقدير المبدعين لقيمة هذا الفنان وتأثير إبداعه.

(شكل ٢٣) أ. فيكتور جيوفروى ديشوم- تمثال نصفى لـ"هونوريه دومييه"- قصر "فالموندوا"- باريس

النتائج :

من خلال استعراض تجربة الفنان "دومييه" فى مجالات الفنون التشكيلية المتعددة يمكن استنتاج ما يلى:

أولا : يعد فن النحت مصدرا أصيلا للإبداع فى مجال الفنون التشكيلية المختلفة.

ثانيا : يمكن للفنان التشكيلى أن يوظف مجالات الفنون المتعددة بحيث تخدم بعضها البعض.

ثالثا : عدم الإلمام بمجالات الفنون التشكيلية المختلفة وتطبيقها ينتقص كثيرا من القيمة الفنية والتاريخية للمبدع التشكيلى.

ISSN : 2735-3710 eISSN : 2735-3729

رابعا : لازالت السيرة الفنية والتاريخية والإسهامات التى قدمها الفنان "هونوريه دومييه" فى مجالات الفنون التشكيلية المختلفة محل دراسة وفحص متعمق.

خامسا : استطاع الفنان "هونوريه دومييه" أن يقدم نموذجا للفنان التشكيلى الملمّ بجوانب ومجالات وتقنيات الرسم والتصوير والتشكيل المجسم للدارسين والمبدعين.

سادسا : يمكن من خلال استعراض السيرة الذاتية والفنية لـ"دومييه" تشجيع صغار الفنانين على إثراء موهبتهم وتأسيس إمكاناتهم ومهاراتهم بشكل أكثر عمقا من خلال ممارسة مجالات فنية تشكيلية متنوعة.

التوصيات :

يوصى الباحث بتقديم المزيد من الدراسات الأكاديمية الجادة التى تقدم النماذج المبدعة فى مجالات الفنون التشكيلية، وبخاصة هؤلاء الذين استطاعوا امتلاك مختلف الأدوات والتقنيات، وذلك فى سبيل توثيق التجارب الإبداعية المتفردة من ناحية ، ومن ناحية أخرى يسهم هذا النوع من الأبحاث فى زيادة الوعى لدى شباب الفنانين والدراسين حيال قيمة وحدة الفنون ودمجها معا فى سبيل خدمة الإنسانية والارتقاء بمفاهيم المجتمع حيال الفنون التشكيلية، مع إزالة الأفكار المغلوطة المتعلقة بفضل مجال على مجال آخر، لا سيما وأن مجال النحت وتشكيل المجسمات (موضوع البحث) كان من أهم المجالات الفنية التى برع فيها الفنان المصرى منذ البدايات الأولى للحضارة المصرية، مرورا بحقبها المختلفة، الأمر الذى يفتح السبيل أمام ضرورة تقديم دراسات مماثلة حول مبدعينا المصريين الذين حاولوا دمج الفنون التشكيلية من نحت وتصوير فى أعمالهم.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

مصادر البحث :

1-C. Childs, Elizabeth – (2014)- *Daumier, Gargantua, and the Censorship of Political Caricature*- Routledge for publishing (Taylor& Francis Group)- London.

2-Goldstein, Robert Justin- (1989)- *The Debate over Censorship of Caricature in Nineteenth-Century France*- Routledge for publishing (Taylor& Francis Group)- London.

3-Henri Marceau and David Rosen- (1948)- *A Terracotta by Daumier*- The Journal of the Walters Art Gallery, Vol. 11, pp. 76-82.

4-James, Henry- (2004)- *Daumier, Caricaturist*- Blackmask for publishing- London.

5-Kris, E.- (1934)- *The Psychology of Caricature*- The International Journal of Psycho-Analysis.

6-Lambirth, Andrew- (2013)- *Daumier's paintings show he is at heart a sculptor*- Royal academy- The Spectator magazine- 7 December.

7-Melot, Michel- (1988)- *Daumier and Art History: Aesthetic Judgment / Political Judgment*- Oxford University Journal for publishing.

8-Thomson, Richard- (1979)- *The Drinkers of Daumier, Raffaëlli and Toulouse-Lautrec: Preliminary Observations on a Motif*- Oxford University Journal for publishing.

ISSN : ***2735-3710*** **eISSN :** ***2735-3729***